

١٠ أيام في ضيافة خادم الحرمين الشريفين

بقلم: محمد فرمان الندوي

أستاذ التفسير والأدب العربي بجامعة ندوة العلماء

ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي). كما سمعنا بالموافقة على ذلك من سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي أطال الله بقاءه (رئيس ندوة العلماء، لكتناؤ، الهند). فشكرنا الله تعالى. ودعونا الله للخير والبركة. وبدأنا الإعدادات اللازمة لهذه الرحلة. وحجزنا التذاكر. وذهبنا إلى دلهي عاصمة الهند. وحضرنا إلى السفارة السعودية بدلهي الجديدة. لتسلم تذاكر الطائرة وجواز السفر. حيث لقينا الإخوة المخلصين في السفارة. الذين يؤدون وظائفهم بكل نشاط وجدية تحت إشراف سعادة السفير الدكتور سعود بن محمد الساطي. حفظه الله. وصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور أحمد الرومي - حفظه الله تعالى ورعاه - فوجدنا استقبالا عظيما وحفاوة كريمة منهم. وكان جميع الإخوة المرشحين للعمرة من الهند حاضرين في صالة اللقاء. فتعرفنا بهم. وكان عددهم عشرين. وقد رشحتهم السفارة السعودية في الهند من جهات مختلفة. فتسلمنا التذاكر وجواز السفر. ثم خرجنا إلى مطار دلهي الدولي. وكانت طائرتنا في الساعة العاشرة حسب التوقيت الهندي. أقلعت الطائرة على الميعاد.

بحمد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه العظيم تشرفت بزيارة خادم الحرمين الشريفين. والديار المقدسة. وسعدت بالعمرة في الفترة ما بين ٢٠١٧/١/٤م و٢٠١٧/١/١٤م. وذلك ضمن برنامج ضيوف خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (أطال الله بقاءه ذخرًا للإسلام والمسلمين). للعمرة والزيارة. ومعلوم أن ألف رجل من العالم كله يسعدون بالعمرة والزيارة طول السنة. وتأتي الدفعات حوالي ٢٥٠ شخصا بالدفعة في أربع مراحل. ويشرف على البرنامج معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. حفظه الله تعالى ورعاه. كما يراقبه أعضاء اللجنة التنفيذية. وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبد الله بن مدلج المدلج (الأمين العام للبرنامج). والدكتور زيد بن علي الدكان (نائب الأمين العام). والدكتور علي عبد الله الزغبيني (رئيس الشؤون الخارجية بوزارة الشؤون الإسلامية) والشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الريس (إدارة المنظمات والأقليات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية) وغيرهم من المشايخ والعلماء. بشرنا بالعمرة والزيارة من سعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء



عربياً. واسترحنا قليلاً. ثم ذهبنا إلى المسجد النبوي الشريف. وتمتعنا بهذا الجو الإيماني الروحاني، الذي طالما عشناه في خيالنا. واستنشقنا عبيره من بعد. أدينا الصلوات الخمس في المسجد النبوي. وسعدنا بالسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما. وكان اليوم التالي يوم الجمعة. صلى بنا صلاة الجمعة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف). وكانت الخطبة حول موضوع: الابتلاء سنة من سنن الله. وقد أيقظت الخطبة العزائم وبعثت الأمل والتفاؤل بالمستقبل. كما تناول الشيخ أثناء كلامه سلسلة من ابتلاءات الأنبياء، خاصة من السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضي الله عنهم. وكان يوم السبت لزيارة المزارات. فذهبنا إلى مسجد قباء. وصلينا ركعتين امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجد قباء كعمرة (سنن ابن ماجه: 141). ثم زرنا مقبرة شهداء أحد. وقرأنا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأدعية حول زيارة القبور. ولا شك أن زيارة القبور تكون لسببين: تذكر الموت

وقطعنا المسافة الشاسعة في خمس ساعات. بكل شوق ورغبة. ووصلنا إلى مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة. حيث كان في استقبالنا عدد من الإخوة الخالصين. الذين سهلوا الإجراءات اللازمة في المطار. ورحلتنا إلى المدينة المنورة بالطائرة. وقد تم كل ذلك في وقت قليل. ومن دون تعب ولا مشقة. وصلنا إلى المطار الدولي في المدينة المنورة. وقت صلاة الفجر. حيث وجدنا أيضاً إخوة فضلاء من وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العزيزة. ووكالة الرياض للسفر والسياحة (أمثال الشيخ عبد العزيز المبارك والشيخ بدر الحربي من الوزارة. والشيخ محمد المسند والأخ صالح عبد الرحمن ومحمد الحربي من الوكالة). وأخذنا الأمتعة. ثم أدينا صلاة الفجر في المطار. ثم ذهبنا إلى أحد فنادق المدينة الفاخرة. قريباً من المسجد النبوي الشريف على جهة القبلة. واستقبلنا مسؤولو البرنامج (أمثال الشيخ عبدالله المدلج والدكتور زيد بن علي الدكان. والشيخ يوسف الحميد والشيخ منصور الهدبا) استقبالاً أخوياً إيمانياً. بالتمور والقهوة العربية. ثم أجروا حوارات تلفزيونية مع بعض رجال الوفد. وكان من الهند كاتب هذه السطور من ندوة العلماء لكتاؤ. ثم أفطرنا فطوراً

معرض القرآن الكريم بالخطوط القرآنية. ونسخة من عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ونسخة مخطوطة من القرن الرابع الهجري. كما شاهدنا في هذا المعرض على الشاشة كيف غير القرآن الكريم العرب الأميين في مدة قليلة إلى أمة عظيمة. أحدثت انقلاباً مدهشاً في كل شيء.

وقد ساعدنا الحظ بأن نزور نادي المدينة المنورة الأدبي. وهو قريب من مسجد القبليتين. ولقينا الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان. حفظه الله (رئيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية). وكان في هذا النادي محاضرة حول الموقع الجغرافي للمدينة المنورة. ألقاها الشيخ عز الدين المسكي من علماء المدينة المنورة. واستغرقت المحاضرة نصف ساعة. ثم بدأت سلسلة المدخلات. التي ساهم فيها الحضور. وكان من بينهم كاتب هذه السطور. والذي أبدى فرحه وسروره بحضور المحاضرة. كما استطرده في كلامه. فتحدث عن العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسيني الندوي. رحمه الله. وأنه ألقى محاضرات عدة في المدينة المنورة. كما قام كاتب هذه السطور بتعريف وجيز بنبوة العلماء. ودار علومها والنادي العربي الذي يلعب دوراً كبيراً في صقل مؤهلات الطلاب.

غادرنا المدينة المنورة يوم الاثنين. وقد اغتسلنا ولبسنا الإحرام في الفندق. ثم ذهبت قافلنا إلى مسجد ذي الحليفة. صلينا هناك ركعتين. ونوينا العمرة: اللهم إني أريد العمرة. فيسرها لي وتقبلها مني. كما صلينا صلاة الظهر. ثم جلسنا على الباصات إلى آخر رحلتنا. وكانت لا تفارقنا في أي مكان. ووصلنا إلى مكة المكرمة وقت صلاة المغرب. ثم توجهنا للعمرة. وأدبنا أركان العمرة بفضل الله تعالى. وفرغنا منها بعيد صلاة العشاء.

ولا ننسى بهذه المناسبة ذكر ما جرى ويجري في المسجد الحرام من توسعات هائلة كبيرة. وكل ذلك بإتقان وجودة. كانت أول توسعة للحرم المكي في العصر الحديث في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز. رحمه الله. ثم التوسعة في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز. رحمه الله تعالى. حيث جرى التحسين والتجميل والتجهيز. وزيادة مساحة المسجد الحرام. وقد خصصت في التوسعة الجديدة أماكن للنساء قريبة ومنعزلة. ذكر الشيخ زيد بن علي الدكان (نائب المدير العام للبرنامج): أن التكييف الخارجي في الحرم يختلف عن التكييف الداخلي. ويستعمل الماء

والآخرة. والدعاء للموتى. ثم ذهبنا إلى مجمع الملك فهد بن عبدالعزيز للمصحف الشريف. وقد أنشئ المجمع عام ١٩٨٣م. ويصدر في كل عام اثني عشر مليوناً من المصحف الشريف بلغات مختلفة وفق القراءات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد نشر أكثر من ثلاثين ترجمة لمعاني القرآن الكريم. واطلعنا على جهود ونشاطات المجمع بالقرص المدمج. وقد عرفنا بالمجمع مفصلاً الشيخ صالح الحسين (مدير العلاقات العامة بمجمع الملك فهد بن عبدالعزيز). وقال: من أنشطة المجمع عقد الندوات. والدورات التجويدية. ومجلة دورية وغيرها. وفي المساء كانت محاضرة الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي) في الفندق. وكان موضوع المحاضرة: الدعوة الإسلامية: منهجها وصفاتها في الكتاب والسنة. كانت المحاضرة موفقة. تلا الإمام حفظه الله في بداية الخطبة آخر آيات من سورة النحل. ثم شرح الموضوع. وأفاد الحضور بعلمه وفضله و تقواه.

وكان يوم الأحد مختصاً بزيارة معرض أسماء الله الحسنى. وقد تم افتتاح هذا المعرض في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز. رحمه الله. وبرعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٤/١١/٢٠١٣هـ الموافق ٢٠١٣/١١/١٩م. وقد شرح أمامنا غاية إقامة هذا المعرض الشيخ الدكتور براء عمر بدير. وقال: إن أسماء الله الحسنى ليست محصورة في تسعة وتسعين اسماً. ودليله ما جاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو استأثرت به علم الغيب عندك». ومعنى الإحصاء الإيمان بها وحفظها وطلب الدعاء بأسماء الله. وطلب منا معرفة الفرق بين الاسم والصفة. فالاسم هو الرحمن الرحيم. لكن الصفة رحمة الله. فلا يجوز أن يدعى الله تعالى بالصفة. وتنقسم أسماء الله الحسنى إلى ثلاثة أقسام: المحبة والحياء. الخوف والخشية. التعظيم والإجلال. كما زنا معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرض القرآن الكريم. كلا المعرضين يمتلئان بالتحف النادرة. والأشياء العلمية. ويقدم معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة صادقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في خرائط و لوحات توضيحية. حتى عمران المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وجميع ما يتعلق بالسيرة النبوية. ويزدان

فيه صافياً غير مستعمل.
وكان اليوم التالي لزيارة مصنع كسوة الكعبة، ومعرض الحرمين الشريفين، حيث قدم لنا مدير المصنع الشيخ أحمد باجودة، ومدير عمارة الحرمين الشيخ أحمد الدخيلي، شرحاً وافياً عنهما. كما رأينا بأمر أعيننا النسج وصناعته وجميع ما ينتمي إلى الكسوة والحرمين الشريفين. فقرت عيوننا برؤية هذه المشاهد، ورجعنا فرحين مسرورين. ثم ذهبنا إلى رؤية برج الساعة، جوار المسجد الحرام، وهو برج عملاق، وصعدنا إلى أعلى سطحه، ولا يسمح بالصعود إليه لكل زائر. ومن هنا رأينا مكة المكرمة وأنوارها الساطعة، وإشراقاتها الروحانية (حرسها الله من كيد الكائدين).

خلال البرنامج ذهبنا إلى معرض السلام عليك أيها النبي، في حي النسيم بمكة المكرمة، وهو معرض ومتحف فريد من نوعه، ويشتمل على تعريف عام بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبرسالته السامية وشريعته السمحة بأجمل الوسائل وأحدث التقنيات، ويقدم عبر شاشات ومجسمات ومصورات ومصنوعات ووسائل تعليمية، تفصيلاً شاملاً لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأدابه، ولأشكال الحياة في زمنه، حتى كأن الإنسان يعيش مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه مشروع إنساني عالمي، وسفر بالأرواح إلى عالم الجمال والجلال والكمال، ورحلة تبهج القلوب وتسعد النفوس. كما اختزن المعرض أكثر من ألفي دليل على توحيد الله تعالى، لقينا صاحب هذا المشروع فضيلة الدكتور الشيخ ناصر بن مسفر القرشي الزهراني أطل الله بقاءه (المشرف العام للمشروع)، وقد رتب هذه المواد من القرآن والحديث مباشرة بدلائل قوية وبراهين ساطعة، واستنفذ فيه جميع قواه، كما استخدم في إعداده أكثر من مئتي قلم، بارك الله في حياته، وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين. وقد ذهبنا إلى منتزه الكرف في منطقة الطائف مروراً بمنى والمزدلفة وعرفات، وكان مسؤولو البرنامج معنا، فكانوا دليلاً على هذه الزيارات، واستقبلونا استقبالاً حاراً، وصعدنا بواسطة (التلفريك) إلى أعلى الجبل، حيث كان مسجداً ومضيفاً، فصلينا هناك صلاة الظهر، ثم رجعنا، وتغدينا، وعقد بهذه المناسبة برنامج ترفيهي ثقافي مفتوح، وأنشدت الأناشيد العربية، وكنا نعيش في جو إيماني، ونودي باسمنا، فذهبنا إلى المنصة، وساهمنا في البرنامج.

وَمَا زَادَنَا فَرْحاً وَسُروراً أَنَّا تَشَرَّفْنَا بِسَمَاعِ مَحَاضِرَةِ لَفْضِيلَةِ الشَّيْخِ خَالِدِ بْنِ عَلِيِّ الْغَامِدي (إمام وخطيب المسجد الحرام) حول: التضامن الإسلامي. في البداية تلا الإمام، حفظه الله، آيات عدة من سورة آل عمران بدءاً من: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ... إِلَى: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ). ثم شرح الموضوع شرحاً وافياً. وأخيراً كانت جلسة الانطباعات مع المسؤولين، وكان معنا نائب الأمين العام للبرنامج الدكتور زيد بن علي الدكان، فأبدى الوفد الهندي انطباعات سارة عن البرنامج والمملكة العربية السعودية. وسأل الشيخ الدكان عن أكبر تحدٍ يواجهه الشعب الهندي، فذكر الوفد أن بقاء الشخصية الإسلامية هو أكبر تحدٍ، ثم التعليم، ثم الاقتصاد وغيره، وقد ساهم في الإجابة مساهمة بارزة فضيلة الشيخ أمين العثماني (سكرتير مجمع الفقه الإسلامي، بالهند) كما أبدى كاتب هذه السطور انطباعاته في نقاط عدة، منها:

١. التشرف بأداء العمرة.
٢. زيارة الأمكنة المشروعة والتاريخية.
٣. إحداث فكرة وحدة الأمة.
٤. جسر لمعرفة أوضاع الأمتين العربية والإسلامية.
٥. الاطلاع على إنجازات المملكة العربية السعودية والتصوير الصادق لها، وإزالة الشبهات والشكوك عنها.
٦. رؤية مشاهد من مشاهد الإخوة الإيمانية.
٧. زيارة العلماء والمشايخ وخاصة أئمة الحرم.
٨. الحوار بين مندوبي البلدان حول قضاياهم.

هذا كله من ثمرات هذا البرنامج المفيد. وقال الشيخ الدكان: إن هذا البرنامج يحدث شعور الإخاء والمحبة بين الفئات المختلفة، ويجعلهم يشعرون شعور الأمة الواحدة في مواجهة القضايا المعاصرة.

إن برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز للعمرة والزيارة يجري منذ ثلاث سنوات، ويُدعى للعمرة كل عام ألف شخصية بارزة في العالم الإسلامي، وللحج ألف فلسطيني من ورثة الشهداء، و١٢٠٠ من العالم الإسلامي، ومعلوم أن برنامج العمرة بدئ في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز أطل الله بقاءه، وهذا غيض من فيض، الذي يدر بخيرات كثيرة لمسلمي العالم.